

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ } (1)

قوله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ } [1] قال: إذا جاء نصر الله لدينك و الفتح لدينك.

{ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } (2)

{ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ } [2] و هم أهل اليمن. { يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } [2] زمراً، القبيلة بأسرها، و القوم بأجمعهم، فانصر روحك على نفسك بالتهيؤ للآخرة لأنه منها، فالنفس تريد الدنيا لأنها منها، و الروح تريد الآخرة لأنه منها، فانصر على النفس وافتح له باب الآخرة بالتسبيح و الاستغفار لأمتك. و كان يستغفر بعد ذلك و يسبح بالغداة مائة مرة، و بالعشي مائة مرة، و اجتهد في العبادة ليلاً و نهاراً حتى تورمت قدماه، و احمرت عيناه، و اصفرت و جنتاه، و قلّ تبسمه، و كثر بكؤه و فكرته.

و قد حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لما نزلت هذه السورة و استبشر بها أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بكى أبو بكر رضي الله عنه بكاء شديداً فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ما يبكيك؟ قال: نعت لك نفسك يا رسول الله. فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: صدقت"، ثم قال: "اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل"، و هذا تعليم لأمته بالدين و التسبيح. و قد قال الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى: أَقْلُوا الْكَلَامَ إِلَّا مِنْ تَسَعٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ الْحَمْدُ

لِلَّهِ، وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَ نَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ مَسْأَلَةٌ حَيْرٍ، وَ تَعَوُّذٌ مِنْ شَرِّ.

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}(3)

{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [3] أي رجاءاً يقبل التوبة، كلما تاب العبد إليه. و اعلم أن إلهنا أكرم من أن يكون معك على نفسك، فإنه قال:

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}

[البقرة:222] فإن كنت عليها كان معها بالعفو، و إن كنت معها على أمر الله و نهيهِ كان عليك، فمن وافق أمر الله على هواه كان ناجياً، و من وافق هواه على أمر الله كان هالِكاً، و إنّ أمر الله تعالى مرّ وهوى النفس حلو، فما مثلها إلا كالأطعمة اللذيذة قد يحصل فيها الصبر، و الدواء يشرب مع مرارته لما جعل فيه من المنافع. و كان بعض الصالحين يقول: و اسوأته، و إن عفوت. فمنهم من يحذر الرد، و منهم من يبكي خجلاً، و إن عفي عنه. و الله سبحانه و تعالى أعلم.